

الفصل الثالث

وَظَائِفُ الرِّسَالِ وَمُهَيِّمَاتُهُمْ

وَظَائِفُ الرِّسَالِ وَمَهْمَاتُهُمْ

لقد بين لنا القرآن الكريم والسنة النبوية مهمة الرسل ووظائفهم ، وسنحاول أن نبين ذلك فيما يأتي .

(١) البلاغ المبين

الرسل سفراء الله إلى عباده ، وحملة وحيه ، ومهمتهم الأولى هي ابلاغ هذه الأمانة التي تحملوها إلى عباد الله ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ «سورة المائدة/ ٦٧» ، والبلاغ يحتاج إلى الشجاعة وعدم خشية الناس وهو يبلغهم ما يخالف معتقداتهم ، ويأمرهم بما يستنكرونه ، وينهاهم عما ألقوه ، ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾ . «سورة الأحزاب/ ٣٩» .

والبلاغ يكون بتلاوة النصوص التي أوحاها الله من غير نقصان ولا زيادة ﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ «سورة العنكبوت/ ٣٩» ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا﴾ «سورة البقرة/ ١٥١» . فإذا كان الموحى به ليس نصاً يتلى فيكون البلاغ ببيان الأوامر والنواهي والمعاني والعلوم التي أوحاها الله من غير تبديل ولا تغيير .

ومن البلاغ أن يوضح الرسول الوحي الذي أنزله الله لعباده ، لأنه أقدر من غيره على التعرف على معانيه ومرامييه ، وأعرف من غيره بمراد الله من وحيه ، وفي ذلك يقول الله لرسوله ﷺ : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ « سورة النحل / ٤٤ » .

والبيان من الرسول للوحي الإلهي قد يكون بالقول ، فقد بين الرسول - ﷺ - أموراً كثيرة استشكلها أصحابه ، كما بين المراد من الظلم في قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ « سورة الأنعام / ٨٢ » بين الرسول - ﷺ - أن المراد به الشرك ، لا ظلم النفس بالذنوب . وكما بين الرسول - ﷺ - الآيات المجملة في الصلاة والزكاة والحج وغير ذلك بقوله .

وكما يكون البيان بالقول يكون بالفعل ، فقد كانت أفعال الرسول - ﷺ - في الصلاة والصدقة والحج وغير ذلك بيانا لكثير من النصوص القرآنية .

وعندما يتولى الناس ، ويعرضون عن دعوة الرسل ، فإن الرسل لا يملكون غير البلاغ ﴿ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ ﴾ « سورة آل عمران / ٢٠ » .

(٢) الدَّعْوَةُ إِلَى اللَّهِ

لا تقف مهمة الرسل عند بيان الحقِّ وإبلاغه ، بل عليهم دعوة الناس إلى الأخذ بدعوتهم ، والاستجابة لها ، وتحقيقها في أنفسهم اعتقاداً وقولاً وعملاً ، وهم في ذلك ينطلقون من منطلق واحد ، فهم يقولون للناس أنتم عباد الله ، والله ربكم وإلهكم ، والله أرسلنا لنعرفكم كيف تعبدونه ، ولأننا رسل الله مبعوثون من عنده فيجب عليكم أن تطيعونا وتتبعونا ، ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ «سورة النحل/ ٣٦» . ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ «سورة الأنبياء/ ٢٥» . وكل رسول قال لقومه: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَوْسِيَاءَهُ﴾ «سورة الشعراء/ ١٠٨ ، ١٣٦ ، ١٤٤ ، ١٥٠ ، ١٦٣ ، ١٧٩» . وقد بذل الرسل في سبيل دعوة الناس إلى الله جهوداً عظيمة ، وحسبك في هذا أن تقرأ سورة نوح لترى الجهد الذي بذله على مدار تسعمائة وخمسين عاماً ، فقد دعاهم ليلاً ونهاراً ، سراً وعلانية ، واستعمل أساليب الترغيب والترهيب ، والوعد والوعيد ، وحاول أن يفتح عقولهم ، وأن يوجهها إلى ما في الكون من آيات ، ولكنهم أعرضوا ، ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي ، وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالَهُ وَوَلَدَهُ إِلَّا خَسَارًا﴾ «سورة نوح/ ٢١» .

مثال يوضح دور الرسل

وقد ضربت الملائكة للرسول ﷺ مثلاً توضح دوره وتبين وظيفته ، ففي الحديث «إني رأيتُ في المنام كأنَّ جبريلَ عند رأسي ، وميكائيلَ عند رجلي ،

يقول أحدهما لصاحبه : اضرب له مثلا ، فقال : اسمع سمعت أذنك ، واعقل عقل قلبك ، إنما مثلك ومثل أمتك ، كمثل ملك اتخذ دارا ، ثم بنى فيها بيتا ، ثم جعل فيها مائدة ، ثم بعث رسولا يدعو الناس إلى طعامه ، فمنهم من أجاب الرسول ، ومنهم من تركه ، فالله هو الملك ، والدار الإسلام ، والبيت الجنة ، وأنت يا محمد رسول ، من أجابك دخل الإسلام ، ومن دخل الإسلام دخل الجنة ، ومن دخل الجنة أكل ما فيها « رواه البخاري والترمذي (١) .

(١) صحيح الجامع (٣١٩/٢)

(٣) التَّبَشِيرُ وَالْإِنذَارُ

ودعوة الرسل إلى الله تقترن دائما بالتبشير والانذار ، ولأن ارتباط الدعوة إلى الله بالتبشير والإنذار وثيق جدا فقد قصر القرآن مهمة الرسل عليهما في بعض آياته ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ «سورة الكهف/ ٥٦» وقد ضرب الرسول - ﷺ - لنفسه مثلاً في هذا ، فقال : « مثلي ومثل ما بعثني الله به ، كمثل رجل أتى قوما ، فقال : يا قوم ، إني رأيت الجيش بعيني ، وإني أنا النذير العريان ، فالتجاء النجاء ، فأطاعه طائفة من قومه ، فأدلجوا ، وانطلقوا على مهلهم فنجوا ، وكذّبت طائفة منهم ، فأصبحوا مكانهم ، فصبحهم الجيش ، فأهلكهم واجتاحهم ، فذلك مثل من أطاعني فاتبع ما جئت به ، ومثل من عصاني وكذّب بما جئت به من الحق » متفق عليه^(١) .

وتبشير الرسل وانذارهم دنيوي وأخروي ، فهم في الدنيا يبشرون الطائعين بالحياة الطيبة ، ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ «سورة النحل/ ٩٧» . ﴿فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ «سورة طه/ ١٢٣» ، ويعدونهم بالعز والتمكين والأمن ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ ، وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ، يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ «سورة النور/ ٥٥» .

(١) صحيح الجامع (٢٠٥/٥)

ويخوفون العصاة بالشقاء الدنيوي ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا ﴾ «سورة طه/ ١٢٤» ويحذرونهم العذاب والهلاك الدنيوي ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴾ «سورة فصلت/ ١٣» وفي الآخرة يبشرون الطائعين بالجنة ونعيمها ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ، وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ «سورة النساء/ ١٣» .

ويخوفون المجرمين والعصاة عذاب الله في الآخرة ، ﴿ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا ، وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾ «سورة النساء/ ١٤» .

ومن يطالع دعوات الرسل يجد أن دعوتهم قد اصطبغت بالتبشير والإنذار ، ويبدو أن التبشير والإنذار على النحو الذي جاءت به الرسل هو مفتاح النفس الإنسانية ، فالنفس الإنسانية مطبوعة على طلب الخير لذاتها ، ودفع الشر عنها ، فإذا بصر الرسل النفوس بالخير العظيم الذي يحصلونه من وراء الإيمان والأعمال الصالحة فإن النفوس تشاق إلى تحصيل ذلك الخير ، وعندما تبين لها الأضرار العظيمة التي تصيب الإنسان من وراء الكفر والضلال فإن النفوس تهرب من هذه الأعمال ، ونعيم الله المبشر به نعيم يستعذبه القلب ، وتلذه النفس ، ويهيم به الخيال ، اسمع الى قوله تعالى يصف نعيم المؤمنين في جنات النعيم ﴿ عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ ، مُتَكِنِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ ، يُطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقٍ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ ، لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزَفُونَ ، وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ ، وَلَحْمٍ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ ، وَحُورٌ عِينٌ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ جِزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ، لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْتِيهَا ، إِلَّا قِيلاً سَلَامًا سَلَامًا ، وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ، فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ ، وَطَلْحٍ مَنضُودٍ ، وَظِلٍّ مَمْدُودٍ ، وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ ، وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ، لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ، وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ ، إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنِشَاءً ، فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا ، غُرْبًا أَتْرَابًا ، لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴾ «سورة الواقعة/ ١٥ - ٣٨» .

وانظر الى عذاب الكفرة في دار الشقاء ﴿ وَأَصْحَابُ الشَّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشَّمَالِ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ، وَظِلٍّ مِنْ يَحُمُومٍ ، لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ، إِنَّهُمْ كَانُوا

قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿۴۰﴾ «سورة الواقعة / ٤١ - ٤٥» ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ لَأَكَلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ رَقُومٍ فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ، فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهَيْمِ هَذَا نُزِّلَهُمْ يَوْمَ الدِّينِ﴾ «سورة الواقعة / ٥١ - ٥٦» .

وحسبك أن تطالع كتاب الترغيب والترهيب للحافظ المنذري وتقرأ منه على اخوانك ومن تدعوهم إلى الله ، ثم انظر اثر هذا في نفسك وفي نفوس السامعين .

إن بعض الذين لم يفقهوا دعوة الإسلام يعيبون على دعاة الإسلام أخذهم بالانذار والتبشير ، ويقولون فلان واعظ ، ويعيبون عليهم عدم فلسفتهم للأمور التي يدعون إليها ، ويطالبون الدعاة بالكف عن طريقة الوعظ وتخويف الناس وترغيبهم ، وهؤلاء بحاجة إلى أن يراجعوا أنفسهم ، وينظروا في موقفهم هذا ، في ضوء نصوص القرآن وأحاديث الرسول التي تبين اسلوب الدعوة ، وتوضح مهمة الرسل الكرام .

(٤) إِصْلَاحُ النَّفُوسِ وَتَرْكِهَا

الله رحيم بعباده ، ومن رحمته أن يحيي نفوسهم بوحيه ، وينيرها بنوره ،
﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ ،
وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ «سورة الشورى/ ٥٢» .

والله يخرج الناس بهذا الوحي الإلهي من الظلمات إلى النور ، ظلمات الكفر
والشرك والجهل إلى نور الإسلام والحق ﴿اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ
الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ «سورة البقرة/ ٢٥٧» ، وقد أرسل الله رسله بهديه ليخرجوا
الناس من الظلمات إلى النور ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ
الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ «سورة إبراهيم/ ٥» وبدون هذا النور تعمى القلوب ﴿فَإِنَّهَا
لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ «سورة الحج/ ٤٦» وعماعها
ضلالها عن الحق ، وتركها لما ينفعها واقبالها على ما يضرها ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا
لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ﴾ «سورة الفرقان/ ٥٥» .

واخراج الرسل الناس من الظلمات الى النور لا يتحقق إلا بتعليمهم تعاليم
ربهم وتزكية نفوسهم بتعريفهم بربهم وأسمائه وصفاته وتعريفهم بملائكته وكتبه
ورسله وتعريفهم ما ينفعهم وما يضرهم ، ودلالتهم على السبيل التي توصلهم إلى
محبتة ، وتعريفهم بعبادته ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ
آيَاتِهِ ، وَيُزَكِّيهِمْ ، وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ، وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلِ لَفِي ضَلَالٍ
مُّبِينٍ﴾ «سورة الجمعة/ ٢» ﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ﴾
«سورة البقرة/ ١٢٩» .

(٥) تَقْوِيمُ الْفِكْرِ الْمُنْحَرِفِ وَالْعَقَائِدِ الزَّائِفَةِ

كان الناس في أول الخلق على الفطرة السليمة ، يعبدون الله وحده ، ولا يشركون به أحدا ، فلمّا تفرقوا واختلفوا أرسل الله الرسل ليعيدوا الناس إلى جادة الصواب ، وينتشلوهم من الضلال ، ﴿ كَانِ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾ « سورة البقرة / ٢١٣ » .

أي كان الناس أمة واحدة على التوحيد والإيمان وعبادة الله فاختلّفوا فأرسل الله النبيين مبشرين ومنذرين .

وقد كان كلُّ رسول يدعو قومه إلى الصراط المستقيم ويبينه لهم ويهديهم إليه ، وهذا أمر متفق عليه بين الرسل جميعا ، ثمَّ كلُّ رسول يقوم الانحراف الحادث في عصره ومصره ، فالانحراف عن الصراط المستقيم لا يحصره ضابط وهو يتمثل في أشكال مختلفة ، وكلُّ رسول يعنى بتقويم الانحراف الموجود في عصره ، فنوح أنكر على قومه عبادة الأصنام ، وكذلك إبراهيم ، وهود أنكر على قومه الاستعلاء في الأرض والتجبر فيها ، وصالح أنكر عليهم الفساد في الأرض واتباع المفسدين ، ولوط حارب جريمة اللواط التي استشرت في قومه ، وشعيب قاوم في قومه جريمة التطفيف في المكيال والميزان ، وهكذا ، فكل هذه الجرائم وغيرها التي ارتكبتها الأمم خروج عن الصراط المستقيم وانحراف عنه ، والرسل يبينون هذا الصراط ويحاربون الخروج عليه بأيِّ شكل من الأشكال كان .

(٦) إِتَامَةُ الْحُجَّةِ

لا أحد أحب إليه العذر من الله تعالى ، فالله جلّ وعلا أرسل الرسل وأنزل الكتب كي لا يبقى للناس حجة في يوم القيامة ، ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ «سورة النساء/ ١٦٥» ولولم يرسل الله الرسل إلى الناس لجاهوا يوم القيامة يخاصمون الله - جلّ وعلا - ويقولون : كيف تعذبنا وتدخلنا النار ، وأنت لم ترسل إلينا من يبلغنا مرادك منا ، كما قال تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا ، فَتَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى﴾ «سورة طه/ ١٣٤» أي لو أهلكهم الله بعذاب جزاء كفرهم قبل أن يرسل إليهم رسولا لقالوا : هلا أرسلت إلينا رسولا كي نعرف مرادك ونتبع آياتك ونسير على النهج الذي تريد ؟

وفي يوم القيامة عندما يجمع الله الأولين والآخرين يأتي الله لكل أمة برسولها ليشهد عليها بأنه بلغها رسالة ربه ، وأقام عليها الحجة ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ ، وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ، يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُوا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ ، وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ «سورة النساء/ ٤١ - ٤٢» .

وقال في آية أخرى : ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ﴾ «سورة النحل/ ٨٩» .

ولذلك فإن الذين يرفضون اتباع الرسل ، ويعرضون عن هديهم - لا يملكون إلا الاعتراف بظلمهم إذا وقع بهم العذاب في الدنيا ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ

قَرِيَّةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً ، وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ ، فَلَمَّا أَحْسُوا بِأَسْنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ ، لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِينِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ ، قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ، فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ ﴿ سورة الأنبياء / ١١ - ١٥ ﴾ .

وفي يوم القيامة عندما يساقون إلى المصير الرهيب ، وقبل أن يلقوا في الجحيم يسألون عن ذنبهم فيعترفون ، ﴿ تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ ، كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا : أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ؟ قَالُوا : بَلَى ، قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ ، فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ ، إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ، وَقَالُوا : لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ، فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحِّقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ « سورة الملك / ٨ - ١١ » .

وعندما يضججون في النار بعد أن يُحيط بهم العذاب من كل جانب وينادون ويصرخون تقول لهم خزنة النار : ﴿ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ ؟ قَالُوا بَلَى ، قَالُوا : فَادْعُوا ، وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴾ « سورة المؤمن / ٥٠ » .

(٧) سِيَاَسَةُ الْأُمَّةِ

الذين يستجيبون للرسل يُكُونُونَ جَمَاعَةً وَأُمَّةً ، وهؤلاء يحتاجون إلى من يسوسهم ويقودهم ويدبر أمورهم ، والرسل يقومون بهذه المهمة في حال حياتهم ، فهم يحكمون بين الناس بحكم الله ﴿فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ «سورة المائدة/ ٤٨» .

ونادى ربُّ العزة داود قائلاً : ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾ «سورة ص/ ٢٦» وأنبياء بني إسرائيل كانوا يسوسون أممتهم بالتوراة ، وفي الحديث «كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبيُّ قام نبيُّ» رواه البخاري ومسلم واحمد وابن ماجه^(١) وقال الله عن التوراة ﴿يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا﴾ «سورة المائدة/ ٤٤» .

فالرسل يحكمون بين الناس ، ويقودون الأمة في السلم والحرب ، ويلون شؤون القضاء ، ويقومون على رعاية مصالح الناس ، وهم في كل ذلك عاملون بطاعة الله ، وطاعتهم في ذلك كله طاعة الله ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ «سورة النساء/ ٨٠» .

ولن يصل العبد إلى نيل رضوان الله ومحبته إلا بهذه الطاعة ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ

(١) صحيح الجامع الصغير (٤/١٩٠) .

تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴿٣١﴾ « سورة آل عمران / ٣١ » .

ولذا فإنَّ شعار المسلم الذي يعلنه دائما السمع والطاعة ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ ،
« سورة النور / ٥١ » .